مجلة جامعة بنغازي العلمية (2018) مجلد 31(2): صفحة 143- 168
Scientific Journal of University of Benghazi (2018) vol. 31 (2):pp 144 -169
http://sjuob.uob.edu.ly

الهجرات الأندلسية إلى طرابلس وبرقة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين وآثارها الاجتماعية والحضارية

مريم الصادق جمعة*

* قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عمر المختار، البيضاء، ليبيا

الملخص.

شهدت منطقة المغرب العربي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين نزوح جماعات كبيرة من المهاجرين الأندلسيين، وترتبت على هذه الهجرات آثاراً اجتماعية وحضارية متعددة، وقد استقطبت المناطق الساحلية من إقليمي طرابلس وبرقة أعداداً من هؤلاء المهاجرين، فاستقرت في مدينة طرابلس العديد من العائلات الأندلسية خلال هذه الفترة، كما جرت بعض المحاولات لتوطين مهاجرين من الأندلس في إقليم برقة خلال القرن السادس عشر عندما استقرت جالية أندلسية في مدينة درنة أسهمت في ازدهار المدينة بعد فترة طويلة من الركود، ويهدف هذا البحث إلى دراسة هذه الهجرات وتوضيح آثارها الاجتماعية والحضارية على المنطقة،ومن أهم النتائج التي بمكن استخلاصها من هذه الدراسة هو تأثير الجاليات الأندلسية التي استقرت في البلاد على مجتمعها الجديد، وخاصةً من الناحية الاجتماعية حيث اصبحت الجالية الأندلسية تشكل جزءاً هاماً من التركيبة السكانية في بعض المدن مثل مدينة درنة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، إلى جانب تأثيرها على العادات والتقاليد الاجتماعية، كما أسهمت هذه الجالية في تطوير بعض جوانب الحياة الاقتصادية مثل الزراعة والصناعة وفي تنشيط الحياة العلمية والثقافية وخاصةً في مجالات القضاء والإفتاء والتدريس والتصوف وكذلك في إثراء الحياة الفنية فانتشرت أنواع من الفنون الأندلسية مثل الموشحات .

الكلمات المفتاحية: الهجرات– الأندلسية – الآثار– درنة– الحضارية

Abstract

During The sixteenth and seventeenth centuries, large groups of Andalusian immigrants transmigrated to the Maghreb region. These migrations brought many social and cultural effects. The coastal areas of Tripoli and Berqa (Cyrenica) attracted a number of these immigrants, many of the Andalusian families settled in Tripoli during this period. There were also attempts to settle immigrants from Andalusia in the province of Berqa during the sixteenth century when the Andalusian community settled in the city of Derna, contributed to the prosperity of the city after a long of period of recession , and this research aims to study these migrations and clarify the social and cultural impact on the region, the most important results that can be drawn from this study is the influence of the Andalusian communities that settled in the country on their new society especially in terms of social, where the Andalusian community became an important part of the demographics of some cities during the sixteenth and seventeenth century, such as city of Derna, besides their impact on social customs and tradition. This community also contributed to the development of some aspects of economic life such agriculture and industry and in the revitalization of scientific and culture life, especially in the areas of justice, stupidity, teaching and mysticism, as well as in enriching the artistic life, and spread types of Andalusian arts such as Al-Moshahat .

المقدمة

شهدت منطقة المغرب العربي هجرات متتالية قادمة من الأندلس منذ القرن الثالث عشر الميلادي (السابع هـ) نتيجة لسياسة التهجير القسري التي تعرض لها المسلمون بعد سقوط بلاد الأندلس وحواضرها الشهيرة في يد الإسبان، ولم تقتصر محنة المسلمين في الأندلس على زوال سلطانهم السياسي، بل ازدادت أوضاعهم سوءاً فجردوا من حقوقهم وصُودرت أملاكهم، وأجبروا على الاختيار بين التنصر أو النفي، وكان لاستقرار هذه الهجرات في بلدان المغرب العربي أثرٌ كبيرُ على طبيعة الحياة فيها، فازدهر العمران وتطورت المدن ونشطت التجارة والزراعة والصناعة في هذه المناطق، وقد استقرت جماعات قليلة من المهاجرين الأندلسيين في المناطق الساحلية من ليبيا (في إقليمي طرابلس وبرقة) قبل سقوط مدينة غرناطة 1492م، ثم ازدادت أعداد المهاجرين خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، وترتبت عليها آثار اجتماعية

وحضـارية مهمـة، فقـد امتـزج القـادمون الجـدد بسـكان المـدن وأصـبحوا جـزءاً مـن تركيبتهـا الحضـرية، ونقلوا معهم عاداتهم وتقاليدهم وأزيائهم، و أسهمت هذه الهجرات في عمران المنطقة وازدهارها بفضل خبرات ومهارات المهاجرين الأندلسيين في مجالات الزراعة والصناعة، وكان لأفراد الجاليات الأندلسية دوراً هاماً في إثـراء الحيـاة العلميـة والفنيـة فـي الـبلاد، وبـرز مـنهم العديـد مـن العلمـاء والقضـاة وأئمـة الصـوفية ، كما حملوا معهم التراث الفني الأندلسي المعروف بالموشحات الأندلسية (المالوف).

تعد الهجرات الأندلسية ظاهرة مميزة جديرة بالدراسة نظراً **لأهميتها** ودورها في تعمير مدينة درنة خلال القرنيين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين وكذلك لتأثيرها على المنطقة خاصة من النواحي الاجتماعية والاقتصادية ومساهمتها في إثراء الحياة الثقافية والفنية في البلاد .

يهدف هذا البحث إلى دراسة هذه الهجرات خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، والتعرف على آثارها الاجتماعية والحضارية من خلال الإجابة على عدة تساؤلات أهمها : متى بدأت هذه الهجـرات فـي الاسـتقرار فـي طـرابلس وبرقـة؟ ومـا دور الجاليـة الأندلسـية فـي تعميـر مدينـة درنـة؟ وما النتائج الاجتماعية المترتبة على هذه الهجرات؟ كما يهدف إلى التعريف بآثارها الحضارية المختلفة من النواحي الاقتصادية والثقافية والفنية في البلاد.

وتحقيقـاً لهـذه الغايـة تـم تقسـيم هـذا البحـث إلـى مقدمـة وثلاثـة محـاور رئيسـة وخاتمـة وقائمة بالمصادر والمراجع.

في المقدمة تم تناول الخلفية التاريخية للموضوع وأهميته والهدف من دراسته وخطة البحث والمنهج المتبع في كتابته وأهم مصادره ومراجعه ، والمحور الأول بعنوان : الهجرات الأندلسية إلى طرابلس وبرقة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين وتطرق إلى بداية استقرار الجاليات الأندلسية في طرابلس وبرقة، ودور الجالية الأندلسية في تعمير مدينة درنة، أما المحور الثاني وعنوانه : الآثار الاجتماعية للهجرات الأندلسية وتناول أثر الهجرات على التركيبة الاجتماعية للسكان، وأثرها على العادات والتقاليد الاجتماعية، والمحور الثالث بعنوان : الآثار الحضارية للهجرات الأندلسية ويتحدث عن أثر الهجرات على الحياة الاقتصادية والثقافية والفنية، والخاتمة تضمنت أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال كتابة هذا البحث.

وقد اتبعت في كتابة هذا البحث **المنهج** التاريخي السردي القائم على التحليل والمقارنة.

ومن أهم المصادر والمراجع التي تم استخدامها في كتابة هذا البحث كتاب لأحمد بن الحسين النائب الأنصاري بعنوان: نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، وكتاب لـ مصطفى عبدالعزيز الطرابلسي بعنوان درنة الزاهرة قديماً وحديثاً، ومجلة الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلدان التاسع والعاشر.

أولاً : الهجرات الأندلسية إلى طرابلس وبرقة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين

بدأت الهجرات الأندلسية إلى منطقة المغرب العربي خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي (السابع هجري) إثر سقوط عدة مدن وإمارات إسلامية في يد الإسبان مثل: بلنسية وقرطبة ومرسية وشاطبة وإشبيلية، وعلى مدى قرنين من الزمن استمر تساقط المدن الإسلامية في الأندلس، وازداد عدد المهاجرين إلى العدوة الغربية بعد سقوط مملكة غرناطة في عام 1492م(المقري، 1988، مج 4، ص472)، حيث غادر الأندلس خلال الفترة من 1492م . 1610م ما يقارب من ثلاثة ملايين أندلسي وصلوا إلى شمال أفريقيا ومناطق مختلفة من الإمبراطورية العثمانية (Zaimeche,2004,p.16)، وقد جاءت هذه الهجرات إلى بلاد المغرب العربي وباقي مناطق العالم الإسلامي نتيجةً لسياسة التعصب الديني والاضطهاد والتهجير التي انتهجها الملوك الإسبان ضد المسلمين في الأندلس، وخاصة الملك فرديناند والملكة إيزابيلا ملكي أراجون وقشتالة، فقد اتبع الملكان سياسة تهدف إلى إنهاء الوجود الإسلامي في الأندلس(المقري، مج 4، ص526) وسار عليها خلفاؤهم من بعدهم، وتمثلت هذه السياسة في اصدار مراسيم واتخاذ إجراءات لإجبار المسلمين على التنصر أو مغادرة الأندلس، فقامت الملكة إيزابيلا بإصدار مرسوم عام 1502م خيرت فيه المسلمين بين اعتناق المسيحية أو النفي، ثم قامت السلطات الإسبانية ورجال الكنيسة الكاثوليكية في إسبانيا بتشكيل ما سمى بـ(محاكم التفتيش) لمراقبة الموريسكيين (وهو الاسم الذي أطلقه الإسبان على من تبقى من المسلمين في الأندلس) (Poole,1898,p.207) ، وفي عام 1609م صدر مرسوم بطردهم بشكل نهائي من اسبانيا، ولم تنته عملية التهجير والنفي إلا في عام 1610م عند طرد حوالي نصف مليون من الموريسكيين(Poole,p.279) .

أ. استقرار الجاليات الأندلسية في طرابلس وبرقة:-

كانت الوجهة الأولى لهؤلاء المنفيين هي سواحل المغرب العربي بسبب موقعها الجغرافي المقابل لإسبانيا، فاستقرت أعداد كبيرة منهم في طنجة وفاس وسلا في المغرب، وتلمسان ووهران في الجزائر (المقري، مج 4،ص 528) كما استوطنت مجموعات كبيرة منهم في تونس حيث عمروا فيها أربعاً وعشرين قرية، ووصلت بعض العائلات الأندلسية إلى مدن طرابلس وبنغازي ودرنة(نجم،2011، ص92) .

ويعود وجود بعض المهاجرين الأندلسيين في طرابلس إلى الفترة التي سبقت سقوط مدينة غرناطة، ويتضح ذلك من خلال استقرار بعض العائلات الأندلسية في المدينة منذ القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، ومن الأمثلة على ذلك : أسرة العسوس (النائب الأنصاري) التي وفد مؤسسها أبو عبدالله محمد بن عيسى الأوسي من الثغور الشرقية في بلاد الأندلس بعد سقوطها في يد الإسبان، واستوطن في طرابلس في أواخر المائة السابعة للهجرة (النائب، د.ت، ص102)، وأسرة الطشاني التي نزحت من إقليم (طشانة) في الأندلس واستقر مؤسسها علي الطشاني بتاجوراء خلال النصف الأول من القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) (بن يونس، 2009، ص27) ، وكذلك أسرة الحطاب التي ينتمي إليها العالم محمد بن عبدالرحمن الحطاب المولود في طرابلس سنة861(هـ / 1457م) تقريباً (النائب، ص97).

وقد ازداد عدد المهاجرين الأندلسيين بعد سقوط غرناطة 1492م، حيث استوطنت طرابلس قبل الاحتلال الأسباني 1510م جالية يهودية وفدت من الأندلس بعد سقوط غرناطة (رايت، 2012، ص118)، واستمر توافد الهجرات الأندلسية إلى طرابلس بعد السيطرة العثمانية عليها (1551م)، وخاصة بعد صدور المرسوم الذي أصدره فيليب الثالث بطرد المسلمين عام 1609م، ويتضح ذلك من خلال إعلان ديوان الولاية عن ترحيبه بالعناصر العربية الأندلسية التي هُجرت من إسبانيا عام 1610م، مما يدل على أن هؤلاء المهاجرين كانوا موضع ترحيب من سكان الولاية، وكان من بين المهاجرين الذين نزحوا في هذه الفترة (قاسم باشا) الذي عُين والياً على طرابلس سنة 1631م (عامر، 2000، ص188).

أما برقة فقد استقطبت أعداداً من المهاجرين الأندلسيين منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، واستقر هؤلاء المهاجرون في درنة (الطرابلسي، د.ت، ص143)، ثم ازداد عدد الجالية الأندلسية في برقة بعد صدور قرار طرد المسلمين من الأندلس عام 1609م، وأسهمت هذه الجالية في عمران المنطقة وازدهارها اقتصاديا بفضل ما كان لأفرادها من ذكاء وحب للعمل، وقد جرت خلال النصف الأول من القرن السابع عشر محاولة لتوطين العائلات الأندلسية في قوريني (شحات) – التي يشهد اكتضاضها بالآثار على ازدهار حضاري غابر– (شارل فيرو، 1998، ص148) على يد قاسم باشا، وكان قد لاحظ أثناء مروره ببرقة عام 1632م في طريقه إلى القسطنطينية (بعد عزله من قبل الانكشارية) إمكانيات الإقليم الزراعية فتوجه إلى الحكومة العثمانية في اسطنبول يطلب منها السماح له باحتلال برقة –التي كانت آنذاك خارج سلطة ولاية طرابلس– وحكمها باسم السلطان العثماني، وقد حصل قاسم باشا على الإذن في عام 1633م واستعان بجماعة من الأندلسيين لمساعدته في تشييد قلعة اتخذها مقراً له قرب أطلال مدينة شحات الأثرية، وأمضى بها عامين من الحكم السلمي من دون أن يسعى لفرض سلطته على القبائل المجاورة، وكان قاسم باشا يهدف من خلال هذه المبادرة إلى تحقيق مشروع توطين بني قومه من الأندلسيين بعد طردهم من الأندلس، لكن هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح نظراً لوفاة قاسم باشا ورفض قبائل المنطقة الخضوع لأبنائه، وقد حاول نائبه في شحات موسى التغرني استقطاب أعداد جديدة من المهاجرين الأندلسيين فعقد تحالفاً مع الجالية الأندلسية في درنة، واتصل بـ يوسف داي (باشا تونس) وعرض عليه إرسال عائلات أندلسية للاستفادة من الأراضي الخصبة في إقليم برقة، فاستجاب يوسف داي لطلبه وأرسل سفناً تحمل أعداداً من المهاجرين استقروا في مدينة درنة (روفيري، 2003، ص30–32).

وفي عام 1637م حاولت جماعة من الأندلسيين الاستيطان في مدينة بنغازي، ففي أغسطس من هذه السنة مرت بالمدينة أربع سفن تونسية على متنها أعداد من المهاجرين الأندلسيين(بازاما، 1968، ص250) فاستقبلها البنغازيون الذين علموا بنشاط المعمرين الأندلسيين في مدينة درنة وسارعوا إلى تقديم الدعوة لقائد الجماعة للاستقرار في بنغازي، وعندما شرعت هذه المجموعة في تشييد قلعة في بنغازي للسكن بها ولحمايتهم من أي خطر قد يتهددهم، أرسل إليهم حاكم درنة الأندلسي آنذاك وطلب منهم الانتقال إلى درنة حيث كان مواطنوهم قد سبقوهم (روفيري، ص32)،ويشير الطاهر الزاوي في كتابه معجم البلدان إلى أن ضاحية

جليانة قد تكون اكتسبت هذا الاسم بسبب هجرة إحدى أسر (جوليانة الأندلس) إليها أثناء محنة الأندلس (1968، ص110)، وقد لفتت هذه المحاولات التي قامت بها الجالية الأندلسية في برقة واتصالها بداي تونس نظر والي طرابلس محمد باشا الساقزلي، الذي رأى في هذه الاتصالات حركة توسع لوالي تونس تهدد ولايته من الشرق، فسارع بإرسال حملة عسكرية لضم برقة إلى ولاية طرابلس عام 1638م (بازامة،ص251) سيطرت على مدينة بنغازي في 1639م تقريباً، أما درنة فقد تم ضمها عام 1662م تقريباً (روسي، ص277).

ب. أثر الأندلسيين في تعمير مدينة درنة:-

تعد مدينة درنة ظاهرة حضرية متميزة في المجتمع الليبي، ويرجع الفضل في ازدهار هذه المدينة في العصر الحديث بعد فترة طويلة من العزلة والركود إلى استقرار جماعات من الأندلسيين بالمدينة، وتختلف الروايات المتداولة وما ذكر في كتب الرحالة في تحديد السنة التي وصلت فيها أولى هذه الجماعات في المدينة، فقد أشار مصطفى إبراهيم الطرابلسي مؤلف كتاب (درنة الزاهرة قديماً وحديثاً) إلى وجود وثيقة قديمة يرجع تاريخها إلى سنة (800هـ/1398م) تقريباً تشير إلى تملك الشيخ منصور الشاعري القادم من الأندلس لقطعة أرض غربي درنة، كما يذكر في الكتاب نفسه رواية سمعها من الشيخ محمد الشارف عزوز عن قدوم أجداده إلى مدينة درنة، ذكر فيها الشيخ أن أسرته هاجرت من الأندلس واستقرت بالجريد في تونس، ثم غادر أحد أفراد هذه الأسرة وهو إبراهيم ابن مصطفى عزوز تونس قاصداً مكة صحبة أربعين حاجاً وخلال رحلتهم إلى الحج مروا بدرنة سنة(894هـ/1488م) تقريباً، وكانت تقطنها آنذاك فروع من قبائل الحرابي وأولاد علي، ونظراً لما يتمتع به أهل الأندلس من حضارة وخبرة في الزراعة فإن زعيم أولاد علي أبو هندى طلب منهم الإقامة بدرنة ومساعدته على الاستفادة من عين مياه عظيمة على أن يمنحهم ثلث الأراضي التي ترويها العين فقبلوا الطلب (د.ت، ص50)، وبعد عودتهم استقروا بالمدينة واختطوا بها أول ساقية وعُرفوا بحجاج الساقية (جبريل، 1975، ص24)، أما الرحالة المغربي أبو سالم العياشي الذي زار المدينة عام (1662م) تقريباً فهو يشير إلى أن استقرار الأندلسيين في درنة كان قرابة(960هـ /1533م) تقريباً حيث ذكر في رحلته "... ودرنة مدينة على ساحل البحر، بها مرسى بينها وبين التميمي مسافة يوم ونصف من غربيه ... وكانت خالية من أزمان إلى أن عمرها الأندلس قرابة الأربعين من الألف... " (د.ت، ص157).

ومن خلال الروايات السابقة يتضح أن هذا التضارب في تحديد السنة التي شهدت استقرار المهاجرين الأندلسيين جاء نتيجة الهجرات الأولى للمدينة التي انحصرت في أفراد وجماعات قليلة خرجت من تونس قاصدة الحج وعلى فترات مختلفة، وقد شهد النصف الأول من القرن السابع عشر قدوم أعداد أكبر وخاصة بعد محاولات قاسم باشا لتوطين الأندلسيين في برقة، ففي عام 1637 قدمت أربعة مراكب أرسلها والي تونس يوسف داي بناء على طلب موسى التغرني نائب قاسم باشا، وجاء على متن هذه السفن ثمانمائة مزارع جاءوا جميعاً إلى درنة واستقروا بها وشرعوا يزرعون الأراضي ويشيدون المباني للسكن تحت إشراف موسى التغرني الذي نصب نفسه زعيماً على الجالية الأندلسية(روفيري، ص31،32).

والواقع إن اختيار هؤلاء المهاجرين لمدينة درنة جاء نتيجة الامكانيات التي تمتعت بها المدينة والمتمثلة في موقعها على ساحل البحر وصلاحيتها لتكون ميناء وقربها من طرق المواصلات التي تربط بين المشرق العربي وأقطار المغرب العربي، إلى جانب وفرة مواردها المائية المتمثلة في مياه العيون، وقد شهدت المدينة بعد استقرار العائلات الأندلسية بها نمواً واضحاً نتيجة نشاط هذه العائلات في استثمار مساحات كبيرة من الأراضي الصالحة للزراعة، وفي جلب المياه إليها من العين التي سميت فيما بعد بعين البلاد(الطرابلسي، ص51)، وقد أنشأ هؤلاء المهاجرون القادمون من غرناطة وغيرها من مدن الأندلس البساتين المزروعة بمختلف أنواع النباتات، وأوجدوا الطراز العربي الأندلسي في المباني (جبريل، ص25)، وأصبحت درنة خلال العهد العثماني الأول من أهم مدن وموانئ برقة بفضل نشاط الجالية الأندلسية، فكانت تصدر عن طريق مينائها منتجات الإقليم الزراعية والحيوانية إلى الإسكندرية وطرابلس وموانئ جنوب أوربا، وقد وصفها الرحالة العياشي في كتابه ماء الموائد ((...ونزلنا قرب درنة ضحى ... ولم نصل إلى مورد التميمي لأن الله أغنى عن مائة الأجاج ببحار من الغدير في أعلى الوادي متصلة في صخور منقورة وبرك من صنع الجبار بالماء مغمورة، وبات الناس بها، وجاءهم المتسوقون من درنة بالطعام الكثير واللحم السمين ...)) ، كما وصف مينائها بقوله ((... ومرسى هذه المدينة عجيبة، تنزل بها السفن الجائية [القادمة]من الاسكندرية ومن طرابلس ومن بر الروم، سيما جزيرة كندية (كريت)، ... والمعاش في هذه المدينة متيسر كثيراً لجمعها بين البادية والحاضرة.)) (ص157) .

مما تقدم يتضح أن المهاجرين الأندلسيين بعد نزوحهم إلى المغرب العربي كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر حتى يجدوا مكاناً يتخذونه مقراً دائماً لهم، وقد نزحت أعداد منهم إلى إقليمي طرابلس وبرقة أسوةً بباقي دول الشمال الأفريقي، واستقرت في المدن الساحلية مثل مدن طرابلس وبنغازي ودرنة، وأن هذه الجالية قد لاقت ترحيباً من قبل السكان المحليين وكان لها دوراً هاماً في تعمير وازدهار المنطقة وخاصةً مدينة درنة.

ثانياً : الاثار الاجتماعية للهجرات الأندلسية

استقرت العائلات الأندلسية التي وفدت إلى إقليمي طرابلس وبرقة في المناطق الساحلية والحواضر الكبرى للبلاد، وامتزجت مع سكانها، وعلى الرغم من أن عدد الأندلسيين الذين قدموا إلى هذه المنطقة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين لم يكن كبيراً مقارنة بالأعداد التي استقرت في المغرب والجزائر وتونس، إلا أن هذه الجماعات تركت آثاراً مست الكثير من جوانب الحياة واستمرت خلال القرون التالية، ويمكن توضيح التأثير الاجتماعي لهؤلاء المهاجرين على النحو الآتي:

أ.أثر الجالية الأندلسية على التركيبة الاجتماعية:-

كان مسلمو الأندلس يشكلون مزيجاً من العرب والبربر والمولدين والأفارقة، وقد تعربت هذه الأقوام وانصهرت معاً نتيجةَ لوحدة العقيدة والمذهب، وأصبحت كتلة واحدة إسلامية الهوية عربية اللسان (نجم، ص ص92،93)، وبعد هجرة هذه العناصر إلى شمال أفريقيا لم يكن بينها وبين السكان المحليين اختلافٌ كبيرٌ من حيث الدين واللغة واللباس والطبائع (برنشفيك، ص159) ، ولذلك كان من السهل عليهم الاندماج معهم، وفي طرابلس وبرقة استطاعت هذه الجماعات التكيف مع بيئتها الجديدة، وأصبحت جزءاً من تركيبتها الاجتماعية (نجم، ص193)، خاصة وأن الكثير من هذه العائلات قد حرصت على التمسك بهويتها العربية من خلال التأكيد على نسبها العربي، ومن الأمثلة على ذلك عائلة العسوس (الأنصاري) التي تُنسب إلى قبائل الأوس من أنصار المدينة المنورة (النائب، ص102)، وأسرة عزوز التي تنسب نفسها إلى الإمام الصادق من ذرية الحسين بن علي رضي الله عنه (الطرابلسي، ص45).

وقد امتزج القادمون الجدد مع حضر المدن، وأصبحت العائلات الأندلسية جزءاً أصيلاً من سكانها، ومن أهم العائلات التي استوطنت في المدن الرئيسية في البلاد اسرة الحطاب والعسوس (الأنصاري) (النائب، ص ص97–107)والطشاني وبن زكري والبهلول وقنونو والقرقني في طرابلس، والفطيسي في زليطن (الزاوي، ص135،178) وعائلة عبدالمالك الأندلسي في مصراته، وعائلة القاضي في بنغازي (نجم، ص94)، وفي درنة أسرة البناني وأسرة عزوز وعائلة المؤدب وعائلة الامام وتعد هذه العائلات من أعرق الأسر التي استوطنت مدينة درنة ولا تزال تحتفظ بكيانها ونسبها، وإن كانت قد اندمجت ضمن الجماعات التي استقرت بمدينة درنة، ومن الأسر التي كانت تقيم بدرنة ثم غادرت إلى مصر أسرة زيتون حيث ورد اسم هذه الأسرة في عدد من الوثائق القديمة المسجلة بمدينة درنة (الطرابلسي، ص49) ومن العائلات الأندلسية التي استقرت بمدينة درنة أيضا عائلة مخاطرة وعائلة صالح وعائلة بن فاضل(جبريل، ص26).

ولم يقتصر أثر هذه الهجرات على المجتمعات الحضرية فقط، فقد اندمجت بعض العائلات الأندلسية ضمن التركيبة القبلية في البلاد، ومن الأمثلة على ذلك قبيلة الشواعر التي تقيم في درنة والمناطق المجاورة لها، وتُنسب إلى منصور الشاعر الذي قدم إلى الأندلس واستوطن درنة خلال القرن التاسع الهجري (مناع،1991، ص28)، وهناك الكثير من الروايات الشعبية المتواترة التي تنسب بعض العائلات والبطون المتوزعة ضمن القبائل الليبية إلى أصول أندلسية ومن هذه العائلات والبطون قبيلة الطواهر التي استقرت في مدينتي طرابلس وزليطن ثم انتقلت إلى بنغازي واستقر بهم المقام أخيراً في درنة(نجم، ص95)، وكذلك قبيلة الصناقرة احدى فروع قبائل أولاد علي، التي ينسب أفرادها أنفسهم إلى (صنقر) الذي قدم من مدينة صنقرة بالأندلس خلال القرن الثامن هـ واستقر في مدينة درنة (مناع، ص252)، وقبيلة أولاد حرب في ورشفانة، وفي مدينة مصراتة توجد بعض القبائل التي تضم ضمن فروعها عائلات تنسب إلى أصول أندلسية مثل : عميش ومادي وجبريل ضمن قبيلة المحاجيب، وعائلة الدلنسي ضمن تركيبة قبيلة الزوابي(ص310،405) والقراقمة (قرقوم) ضمن فروع قبيلة عياد (بن يونس، ص27)،و نظراً إلى عدم وجود أدلة تثبت صحة هذه الروايات فإنه لا يمكن التأكيد على أندلسية هذه القبائل.

ويظهر تأثير الهجرات الأندلسية على التركيبة الاجتماعية للسكان خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر بشكل واضح على الجالية اليهودية التي تزايد عددها نتيجةُ لهجرة اليهود من الأندلس (رايت، ص118)، وقد استقر معظم هؤلاء اليهود في مدينة طرابلس التي كانت توجد بها في بداية القرن السادس عشر الميلادي جالية يهودية كبيرة، حيث تشير المصادر المتعلقة بالاحتلال الأسباني للمدينة عام 1510م إلى أن عدد سكان المدينة قدر بعشرة آلاف نسمة من المسلمين وبضعة آلاف من اليهود، وقد أسر الاسبان عند احتلالهم للمدينة عدد كبيرمنهم، أما البقية فقد قُتلوا ولم ينج إلا عدد قليل منهم تمكن من تخطي السور المحاذي للحي اليهودي الواقع شمال المدينة(روسي، ص172).

وعلى الرغم من تأثر هذه الجالية بالغزو الاسباني للمدينة، نتيجة لتعرضهم للقتل والاضطهاد على يد الأسبان، إلا أنها عادت وانتعشت في ظل الحكم العثماني، فتزايد عدد أفرادها وبمرور الزمن أصبحت هذه الجالية عنصراً حيوياً في المجتمع، فكانت لهم اسهامات واضحة في الاقتصاد المحلي حيث عملوا كباعة متجولين وصناع مهرة (رايت، ص119)، وخاصة في قطاع النسيج فاحتكروا صناعة المنسوجات الحريرية، وكذلك في مجال صياغة الحُلى والمجوهرات وتجارتها (شرف الدين،1998، ص137)، وإلى جانب نشاطهم داخل الولاية عملوا كممولين ووسطاء بين المصالح التجارية لدول جنوب أوربا مثل مالطا وليغورنو وتجارة مناطق الصحراء الكبرى وأفريقيا، وأصبحوا من أغنياء الولاية وتركزت تجارة البلاد في أيديهم (جبران،2010، ص17) .

ب . أثر الهجرات الأندلسية على العادات والتقاليد الاجتماعية :-

امتد تأثير الهجرات الاندلسية في المجال الاجتماعي ليشمل العادات والتقاليد الاجتماعية، فقد احتفظت الجاليات الاندلسية بعاداتها وتقاليدها ونقلتها معها إلى وطنها الجديد، ومن أبرز التأثيرات في هذا الجانب :

الاحتفالات الدينية والمناسبات الاجتماعية: من المتعارف عليه أن العادات والتقاليد الإسلامية لا تختلف كثيراً من منطقة إلى أخرى، سواء في الأندلس أم في أقطار المغرب أو المشرق العربي، لا سيما فيما يتعلق بالأعياد والمناسبات والأفراح العائلية، وإن كان الاختلاف لدى الأندلسيين يكمن في المظاهر الخارجية والمبالغة في الاحتفال بتلك المناسبات، وقد عُرف أهل الأندلس بإحياء المناسبات الدينية مثل عيد الفطر وعيد الأضحى وليلة القدر وذكرى المولد النبوي بالأناشيد وحلقات الذكر التي يصاحبها العزف على المزامير، وتقديم الأطعمة

والحلوى، وكان الاحتفال بالمولد النبوي يستمر أياماً وليالي يُتلى فيها القرآن الكريم وينشد فيها الشعر وتقام الولائم، وكانت الموسيقى عنصراً أساسياً في هذه الاحتفالات (الطوخي،1997، ص118،116)، وقد انتشرت هذه المظاهر الاحتفالية في المدن التي استوطنتها الجاليات الأندلسية مثل طرابلس ودرنة، وكان السكان يحيون هذه المناسبات باحتفالات رسمية وشعبية تشارك فيها الفرق الموسيقية ورجال الطرق الصوفية بالمدائح والأذكار والموشحات الدينية (بن موسى،1988، ص34)، ودق الطبول ونقر البنادير والطارات ورنين الصنوج (الطرابلسي، ص277).

الملابس ووسائل الزينة: تأثرت أزياء السكان في ولاية طرابلس بالمؤثرات الأندلسية، ويتضح ذلك في أنواع الألبسة أو في تزيينها وزخرفتها، وخاصةً الأزياء النسائية، ومن أبرز الأزياء الأندلسية التي انتشرت في البلاد بعد الهجرات الأندلسية القمجة وهي عبارة عن قميص نسائي واسع الاكمام ينسج من الحرير ويتميز بتطريزه الجميل (شلابي، د.ت، ص96) ويعرف في المصادر الاندلسية ب(القميجة) أي القميص(الطوخي، ص82) إلى جانب أنواع من السراويل النسائية الفضفاضة التي تنطوي على سمات وأنماط تبلورت عن الأزياء الاندلسية ، وأنواع من السترات القصيرة من المخمل ذات أكمام واسعة مطرزة بالذهب والفضة (شلابي، ص95،105).

ومن أنواع الألبسة التي انتشرت في انحاء شمال افريقيا ومنها طرابلس وبرقة، وارتبطت بالتأثير الأندلسي (الشاشية) وهي نوع من أغطية الرأس(الحفصي، 1989، ص605)، وكذلك نوع من الأحذية بدون كعب انتشر في برقة بعد الهجرات الاندلسية إليها يعرف بـ (السباط) وهي كلمة مشتقة من التسمية القشتالية(Loszopto) (بولبيض، 2009، ص174)، والريحية وهي من أنواع الأحذية التي كان استخدامها شائعاً في غرناطة خلال العصور الوسطى(الطوخي، ص83).

وتتضح التأثيرات الأندلسية على الأزياء الليبية في ارتداء النساء للملابس البيضاء دلالة على الحداد، وهذه العادة انفردت بها الأندلس عن باقي الأقاليم الإسلامية (المقري، مج4، ص109)، وفي ذلك يقول أحد الشعراء :

إذا كان البياض لباس حزن بأندلس فذاك من الصواب

ألم ترني لبست بياض شيبي لأني حزنت على الشباب

أما أنواع الزينة فقد عُرف أهل الأندلس بالمبالغة في استخدام العطور والطيب والذهاب إلى الحمامات (مـــج1، ص223)، وقـــد اشـــتهرت الأنـــدلس بحماماتهـــا العامـــة والخاصـــة (الطـــوخي، ص108)، كمـا تميـزت بصـناعة العطـور مـن أزهـار الليمـون والبرتقال(عنـان،1997، ص447)، وصـناعة الصـابون، وكـانوا يسـتخدمون المسـك والكـافور ومسـحوق الحمـص لتنظيـف الجسـم (وينـز، 1998، ص1027)، وقد انتشرت هذه العادات في المدن التي استقرت بها الجاليات الأندلسية، فاشتهرت نساء درنة بصناعة تقطير ماء الزهر من البرتقال، وصناعة زيت الياسمين لدهن شعورهن وأيديهن، وكان من عادات أهل درنة عند الاحتفاء بالضيوف استقبالهم وتوديعهم برش ماء الورد والزهر، وصنع باقات صغيرة من الياسمين والنسري (النسرين) والفُل تسمى المشاميم للتزين بها واستنشاق رائحتها (الطرابلسي، ص204).

ج . أثر اللهجة الأندلسية على اللهجة الليبية :-

انتشرت في المناطق التي استقرت بها الجاليات الأندلسية تعابير ومفردات هي من اللهجة الأندلسية، ومـن أبـرز هـذه المفـردات التـي انتشـرت فـي الـبلاد ولا تـزال تسـتخدم حتـى يومنـا هـذا كلمـة (سـانية) وهـــي مشـــتقة مـــن الكلمـــة الإســـبانية Saniyat وتعنـــي حديقـــة أو جنان(سانشـــيز،1998، ص1379)، وكلمة زنقة التي كان يُطلقها الأندلسيون على الشوارع الضيقة، وكلمة (حك) أو حكة وتُطلق على بعض أنواع الأوعية لحفظ الطعام، وقد حرفها الأندلسيون عن الكلمة حق أو حقة نظراً لأنهم كانوا يستبدلون القاف بالكاف، ومن التأثيرات الأندلسية على اللهجة الليبية تسمية البرقوق بالعين أو العوينة، وإطلاق لفظ الحوت على السمك، وكـــذلك كلمـــة ســـفنرية (ســـفناري) المشـــتقة مـــن الكلمـــة الإســـبانية Zanaharia وتعنـــي الجـــزر (الطوخي، ص ص114،91)، إلى جانب هذه التعبيرات انتقلت عادة الأندلسيين في إضافة حرفي الواو والنون إلى الأسماء كصيغة للتفخيم والتعظيم(الطوخي، ص114،91) ويلاحظ ذلك على بعض الأسماء التي انتشرت في طرابلس مثل زكرون (زكري) وغلبون (غالب).

د . الطبخ وأنواع الأطعمة :-

ظهـرت التـأثيرات الأندلسـية علـى المطـبخ المحلـي فـي أنـواع الأطعمـة وطـرق اعـدادها، ومن أهمها استخدام التوابل بكثرة ومزجها معاً للحصول على نكهات مميزة، فقد عُرف أهل الاندلس بصناعة اخلاط من التوابل لكل صنف أو نوع من أنواع الأطعمة الحريفة أو حلوة الطعم، وكانوا يستخدمون مع أنواع اللحـم خلطـة التوابـل المكونـة مـن الفلفـل والكروايـة والكزبـرة الجافـة والكمـون تـدق معـاً وتسـتخدم فـي الطبخ(ميراندا،1961، ص 116)، أما لإعداد الأطعمة الحلوة المذاق فكانوا يستخدمون أنواع من المطيبات مثل القرفة والمستكة وجوزة الطيب وماء الزهر وماء الورد (وينز، ص1034)، كما استخدم الأندلسيون على نطاق واسـع النباتـات العطريـة فـي إعـداد المـأكولات مثـل النعنـاع والكراويـة والمردقـوش والكزبـرة والشـبت (سانشيز، ص1328)، ويظهر هذا التأثير بشكل واضح في المطبخ الدرناوي الذي يتميز بلذة النكهات إذ اشتهر أهل درنة بجودة إعداد التوابل والمقبلات والسمك وغيرها (بولبيض، ص160)، ومن أنواع الأطعمة التي كانت معروفة في الأندلس ثم انتشرت في طرابلس وبرقة، المركاس أو العصبان ويُصنع من لحم وشحم الضأن الذي يخلـط مـع الفلفـل والكزبـرة والأرز وتحشـى بـه أمعـاء الخـروف ويطـبخ فـي المـرق أو يُقلـى فـي الزيـت (ميرانـدا، ص ص96،98)، والسمبوسـك أو البوريـك وهـي عجينـة أو رقـاق تُحشـى بـاللحم المـدقوق والمطبـوخ مـع التوابـل (الطـوخي، ص92)، ومـن أنـواع الفطـائر التـي انتشـرت فـي معظـم مـدن الـبلاد السـفنز (اسفانج أو الزلابية) باللهجة الأندلسية وهي عجينة من الدقيق والماء تُقلى في زيت غزير ومن أنواع الحلوى المورقة أو المسمنة وهي عبارة عن عجينة تُدهن بالسمن وتُقلى في الزيت (ميراندا، ص184).

ثالثاً : الآثار الحضارية للهجرات الأندلسية

كان للهجرات الأندلسية أثاراً حضاريةً بارزةً على المناطق التي استقرت فيها، نظراً للحياة المدنية المتطورة التي تميزت بها حضارة المسلمين في الأندلس، وقد أسهمت الجاليات الأندلسية التي استقرت في طرابلس وبرقة في تنشيط الحياة الاقتصادية والثقافية في البلاد، ونقل أفرادها الخبرات العلمية والمعمارية والفنية والثقافية لأهل الأندلس إلى وطنهم الجديد، وتتمثل التأثيرات الحضارية للأندلسيين في طرابلس وبرقة في المجالات الآتية :

أ . أثر الهجرات الأندلسية على الحياة الاقتصادية :-

في مجال الزراعة: كان عدد كبير من المهاجرين الأندلسيين إلى المنطقة يحترفون مهنة الزراعة فأسهموا في تطوير حرفة الزراعة باستخدام الأساليب الزراعية المتطورة التي عرفوها في الأندلس، وخاصة خبراتهم في تصريف المياه وتوزيعها بواسطة السواقي، ومن أهم الأمثلة على ذلك ما قام به المهاجرون الأندلسيون في مدينة درنة خلال القرن السادس عشر الميلادي من استغلال لمياه العيون المحيطة بالمدينة في ري مزارعهم، ومن هذه العيون (عين البلاد) التي قاموا بشق ساقية تنحدر منها وتتفرع من هذه الساقية العديد من القنوات التي تجري بها المياه لري الحدائق والحقول مخترقة الكثير من البيوت (الطرابلسي، ص253).

وقد استفاد حاكم درنه محمد باي الذي حكم المدينة في أواخر القرن السابع عشر الميلادي من خبرات الأندلسيين في مجال الري، فقام بشق ساقية أخرى للاستفادة من مياه (عين بو منصور) ونحت لها قنوات عبر الصخور على امتداد ضفتي وادي درنة حتى شملت جميع أحياء المدينة، واستُخدمت المنحدرات التي تتدفق منها مياه الساقية في إدارة أرحاء كبيرة وطواحين لطحن الغلال بواسطة دواليب من الخشب(ص63).

كما أدخل المهاجرون الأندلسيون نظام زراعة المدرجات إلى مدينة درنة، حيث استغلوا المساحات الترابية في المناطق شديدة الانحدار الواقعة على ضفاف وادي درنه وكذلك الشقوق والتصدعات الموجودة بين الكتل الصخرية في زراعة الأشجار المثمرة، خاصة أشجار التين والزيتون والخروب وفسائل النخيل والأزهاز (باشو، 1999، ص145)، إلى جانب هذه الأساليب الزراعية يرجع الفضل إلى هؤلاء المهاجرين في إنشاء البساتين المعروفة بالسواني، وإدخال أنواع جديدة من المحاصيل الزراعية مثل البرتقال المر (الشفشي) وهو سلالة من برتقال إشبيلية الذي تستخدم أزهاره في صناعة ماء الزهر، و أنواع أخرى من أشجار الفاكهة مثل الكمثرى والمشمش والرمان والخوخ والموز، كما توسعوا في زراعة الكروم المعلقة على عرائش الخشب، واهتموا بزراعة النباتات العطرية والأزهار مثل الياسمين والفل والنسرين ونوار العشية (الطرابلسي، ص259،265).

الصناعة: تميزت الصناعات في بلاد الأندلس بجودتها وإتقانها فقد حافظ العرب في الأندلس على مستوى الصناعة التي نقلوها عن المشرق العربي وطوروها، وعندما هاجرت الجاليات الأندلسية نقلت خبراتها في حقل الصناعة إلى أوطانها الجديدة، ومن أهم هذه الصناعات صناعة النسيج، التي تُعد من أقدم الصناعات المعروفة في ليبيا ولكنها ظلت لقرون دون تطوير تعتمد على الأساليب والأدوات القديمة حتى القرن السادس عشر عندما وصلت الهجرات الأندلسية إلى المنطقة واستقر بها المقام في طرابلس ومصراته والخمس وغيرها من المدن الساحلية، وأخذ القادمون الجدد يسعون إلى تأمين معاشهم بالحرف التي كانوا يزاولونها في الأندلس، ومن بين هذه الحرف النسيج الذي تعلموه ونقلوه عن أساتذة هذه الصناعة في بلاد الشام، وتوصلوا إلى اختراع أنوال متطورة انتجت أنواعاً راقية من المنسوجات الصوفية والحريرية والقطنية، وقد ازدهرت صناعة النسيج خلال القرون اللاحقة في معظم مدن البلاد مثل طرابلس ومصراته وبنغازي ودرنه (بن موسى، ص119)، و اشتهرت مصراتة بإنتاج أنواع من السجاد والبسط ذات الصناعة المتقنة، كما أدخل الأندلسيون إلى طرابلس صناعة الشاشية (الطربوش المغربي) وهي نوع من أنواع أغطية الرأس الواسعة الانتشار في المغرب العربي(شلابي، ص43).

ومن الصناعات التي انتشرت في المدن الليبية بعد الهجرات الأندلسية صناعة الخزف المطلي (الزليج) وهو نوع من البلاط كان يستخدم بدلاً من الرخام في تزيين الأرضيات وواجهات الأبواب والنوافذ، وقد تطورت هذه الصناعة في الأندلس خلال القرن العاشر الميلادي، وأصبح استعماله شائعاً خلال القرن الرابع عشر الميلادي بعد إدخال الألوان المختلفة والزخارف ذات الأشكال الهندسية الدقيقة (المقري، مج1، ص149)، وقد انتشرت صناعة الزليج في طرابلس خلال القرن السابع عشر بفضل الحرفيين الأندلسيين، واستخدم في تزيين الأبنية الدينية والمدنية (البلوشي، 2009، ص358)، وخاصة المساجد وبيوت الحكام ورجال الدولة التي زينت واجهاتها ومداخلها وأرضيتها بالزليج الملون (التليسي، 1999، ص93).

كما أدخل الأندلسيون إلى ليبيا صناعة التقطير التي تقوم على تقطير زهر البرتقال الشفشي ويصنع منه شراب الزهر، وقد اشتهرت مدينة درنة بهذه الصناعة وعُرفت بعض الأسر فيها باحتراف التقطير وكانت تقوم بجمع كميات كبيرة من هذا الزهر وكذلك بعض أنواع الورود وتعمل على استقطار رائحتها بواسطة آنية معروفة تسمى (القطار)، وتحفظ الرائحة المستقطرة في زجاجات تباع كرائحة طيبة أو دواء للمغص ومطيب للطعام، كما انتشرت صناعة الزيوت العطرية وأهمها صناعة زيت الياسمين، وهو عبارة عن نوع من الدهان يصنع من شمع العسل الذي ينثر فوقه زهر الياسمين لمدة شهر أو أكثر بحيث يتشرب رائحة الزهر ثم يُحفظ في زجاجات (الطرابلسي، ص266،263) .

ب . أثر الهجرات الأندلسية على الحياة الثقافية :-

أسهمت الأسر الأندلسية التي هاجرت إلى طرابلس وبرقة في إثراء الحياة العلمية والثقافية في البلاد، وبرز أبناؤها في مجالات مختلفة مثل القضاء والإفتاء والتدريس والخطابة والكتابة والتأليف والتصوف، واشتهرت بعض هذه الأسر بتولي مناصب دينية وعلمية مرموقة توارثها الأبناء عن الآباء مثل القضاء والإفتاء(المصراتي، 2002، ص170)، كما أسهم أفراد الجالية الأندلسية في طرابلس في إثراء حركة التصوف التي عرفت ازدهاراً كبيراً في المدينة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، حيث زخرت طرابلس خلال هذه الفترة بأئمة متصوفين كبار(القطعاني،2011، ص74، 354)، ومن أهم الأسر الأندلسية التي استقرت في طرابلس وبرز أبناؤها في العديد من المجالات العلمية والثقافية خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادين: **أسرة الحطاب** : وقد نبغ منها أكثر من عالم ومؤلف ومن أعلام هذه الأسرة الشيخ المفتي محمد بن عبدالرحمن بن حسين الرعيني الحطاب الأندلسي الأصل الذي ولد في طرابلس عام(861هـ /1457م)، وكان حياً في حدود عام (944هـ 1537م) تقريباً، وكان عالماً في علم التفسير والحديث(النائب، ص97)، ومن أعلام هذه الأسرة أيضاً محمد بن محمد بن عبدالرحمن الحطاب الملقب بالحطاب الصغير الذي ولد في رمضان عام(902هـ 1497م) تقريباً، وكان عالماً بالحديث واللغة ومحققاً بارعاً له العديد من المؤلفات والشروح أهمها "هداية السالك المحتاج لبيان فعل المعتمر والحاج" وكتاب "تفريج القلوب بالخصال المفكرة لما تقدم وما تقدم من الذنوب" وله ثلاث رسائل في تحديد أوقات الصلاة بالعلوم الفلكية، تُوفي في ربيع الثاني عام 954هـ/ 1547م،

كما برز من هذه الأسرة الشيخ المفتي بركات بن محمد الحطاب مؤلف كتاب "الجليل في شرح مختصر الخليل" تُوفي بعد سنة(980هـ/ 1572م) (ص110،100).

أسرة الطشاني : وتُنسب إلى الشيخ علي الطشاني وهو من أعلام التصوف في طرابلس خلال القرن التاسع هجري (الخامس عشر ميلادي(القطعاني،ص303)، ومن أعلام هذه الأسرة الشيخ عبدالرحمن التاجوري (بن يونس، ص43) الذي اشتهر بعلم الميقات (تحديد الزمن) وله عدة مؤلفات أهمها : "تنبيه الغافلين عن قبلة الصحابة التابعين" وقد أرسل سنة 955هـ /1548م إلى أمير فاس أحمد الوطاسي رسالة حدد فيها قبلة جامع القرويين بعد أن قام الجدل حولها و تم تغيير قبلة الجامع فيما بعد وفق تحديد التاجوري، وله كذلك رسالتين في تحديد قبلة الصلاة وهما "الدرر المنتثرات على ربع المقنطرات" و "المقدمة الينايرية" ورسالة في الفصول الأربعة والجهات ورسالة في معرفة بيت الإبرة (البوصلة) ورسالة في الحج، تُوفي قرب سنة (960هـ/1553م) تقريباً في زليطن (القطعاني، ص ص449،451).

أسرة العسوس : وتُعرف أيضاً بأسرة النائب الأنصاري نظراً لتولي أفرادها وظيفة نائب القاضي التي كانت تتوارثها الأسرة بطريقة تقليدية(أوغسطيني، د.ت، ص63)، ومن أعلام هذه الأسرة عبد العزيز بن محمد الأوسي الأنصاري كان فقيها وتاجراً استوطن طرابلس في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي وأسس بها مسجداً قرب سورها الغربي، ثم غادر المدينة عند احتلال الأسبان لها عام (916هـ/ 1510م) إلى مدينة غريان (النائب، ص102)، ومن أعلام هذه الأسرة أيضاً أحمد بن عبدالعزيز الأوسي الأنصاري وكان فقيهاً ونحوياً وعالماً بالحديث عمل بالتدريس في المسجد الذي أسسه والده، كما تولى وظيفة نائب القاضي تُوفي عام (1023هـ/1614م) تقريباً، وعبدالرحمن بن أحمد النائب الأنصاري وهو من علماء الصوفية في طرابلس تولى منصب نائب القاضي بعد وفاة والده وتُوفي عام(1130هـ/ 1717م) تقريباً (ص122،110).

ج . أثر الهجرات الأندلسية على الحياة الفنية :-

شهدت الحياة الفنية في طرابلس وبرقة تطوراً واضحاً بعد قدوم الهجرات الأندلسية ومن أهم المجالات الفنية التي تأثرت بهذه الهجرات :

فن البناء والعمارة: كان من بين أفراد الجاليات الأندلسية التي استقرت في البلاد الحرفيون والعمال المهرة، ويمكن ملاحظة تأثيرهم من خلال الأبنية التي شُيدت خلال القرن السابع عشر الميلادي(البلوشي، ص271)، ويظهر التأثير الأندلسي في مجال البناء من خلال انتشار الطراز الأندلسي في المباني مثل الأقواس وأبواب الخوخة والأعمدة (جبريل، ص149) والمنازل البيضاء ذات الأحواش الداخلية المزينة بنافورات المياه (حامد، 2008، ص149)، أما التأثير الأندلسي على فن الزخرفة فيظهر في الأشكال الزخرفية الجديدة التي ميزت هذا الفن خلال القرن السابع عشر، وتتضح من خلال الزخارف الجصية المحفورة والملونة والبلاط المزجج (القيشاني) المتعدد الألوان المستخدم في تزيين المباني، وقد وصف الطبيب الفرنسي جيرارد الذي كان أسيراً في طرابلس هذه المباني في كتابه المؤرخ سنة 1685م فقال أن مدينة طرابلس وضواحيها كانت تضم العديد من القصور والبيوت المزينة بالبلاط واللوحات الجصية ذات الزخارف الملونة الزاهية(البلوشي، ص272،258)، ومن المباني التي يعود بناؤها إلى الجالية الأندلسية في طرابلس "مسجد العسوسي" الذي شيده عبدالعزيز بن محمد الأوسي الأنصاري في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي(ص99)، وفي درنة شيدت الجالية الأندلسية مسجد "الجرابة" وهو من أهم المعالم الإسلامية في مدينة درنة ويعود بناؤه إلى عام (966هـ/1559م) تقريباً(حامد، ص173) ، كما أسهمت في بناء الجامع الكبير أو جامع البلاد وزخرفته سنة (1090هـ/ 1679م) في عهد المصلح محمد باي و يتميز هذا الجامع بدقة هندسته وقبابه ذات الأقواس(الطرابلسي، ص60) .

الموسيقا والغناء: حملت الجاليات الأندلسية التي استقرت في المنطقة فنونها وتراثها الموسيقي، ومن أبرز هذه الفنون الموشحات، والموشح هو عبارة عن قصيدة مغناة ويعد أحد الأجناس الأدبية المستقلة التي تنتمي إلى الشعر العربي، وقد اخترع أهل الأندلس هذا الجنس الأدبي في صورته الأولى حيث كان شيوع الشعر والمبالغة في التفنن به سبباً في ظهوره بالأندلس(العطار،1997، ص56)، وقد نقل المهاجرون الأندلسيون هذا الفن معهم إلى أقطار المغرب العربي ومازال معروفاً فيها إلى يومنا هذا ويُعرف في المملكة

المغربية (بالموسيقا الأندلسية الكلاسيكية) وفي الجزائر بـ (الفن الغرناطي) وفي تونس وليبيا بـ (المالوف) (عريبي،2007،،منتدى سماع للطرب الأصيل)، ويطلق هذا الاسم على الموسيقا الأندلسية وخاصةً المدائح التي تؤديها الطرق الصوفية، وكان الصوفي الأندلسي محي الدين ابن عربي أول من أدخل الموشحات إلى التصوف ؛ نظراً لسهولة ألفاظها وانتشارها بين الخاصة والعامة(الهرامة، 1999، ص153)، وقد اتخذ المالوف الليبي مع مرور الزمن طابعاً مميزاً له عن أصله الأندلسي، فنوبة المالوف الليبية هي عبارة عن مجموعة من أبيات الشعر والأزجال التي وحدت بينها دائرة النغم فأصبحت وحدة متكاملة في مضمونها الفني، أما المضمون الكلامي فتستقل كل قطعة بمعنى خاص، وإيقاع نوبة المالوف الليبية هو الإيقاع المصمودي الشرقي المعروف، وقد انتشر هذا الفن بإيقاعاته وأوزانه في ألحان الابتهالات التي تقدمها الزوايا الصوفية كما يُغنى في مواكب الأعراس والجنائز (بن موسي، ص307).

الغيطة : ظهر في الأندلس نوع من أنواع الغناء يعرف بالغيطة أو Sacta بالقشتالية ((...وهو عبارة عن إلتواء صوتي مرتفع تبعاً لطريقة الغناء القديم)) وكان هذا الارتفاع الصوتي من متطلبات السهرات الغنائية في العهد الإسلامي بالأندلس، وقد انتشر هذا النوع من الغناء في دول المغرب العربي مثل الجزائر والمغرب، وتستخدم فيه الآت النفخ والطبل بطريقة تشبه ما يقوم به (المسحراتي) والفنان الذي يؤدي الغيطة يُعرف (بالغياط) وهذا الفن المغربي يدل بلا شك على آثار أندلسية قديمة(بولنز، 1998، ص1386)، وقد انتشر في مدن برقة وخاصةً بنغازي فن شعبي مشابه ويُعرف أيضا بالغيطة وإن كان لا يُعرف تاريخ دقيق لظهوره ولا مصدره، ويُنشد هذا النوع في مناسبات الأفراح، وهو عبارة عن غناء صاخب ترافقه الآلات مثل الإيقاع والدف والمزمار ويقوم المؤدي (الغياط) والكورس المصاحب له بغناء أبيات شعرية متوسطة وقصيرة لا يُشترط فيها القافية، وقد يكون هذا الفن الشعبي هو تطور لفن الغيطة الأندلسي بعد تعرضه لمؤثرات محلية وأفريقية(العريبي،2017/11/30 إذاعة بنغازي المحلية).

الخاتمة

يتضح مما تقدم أن الهجرات الأندلسية التي جاءت إلى منطقة الشمال الأفريقي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين كانت نتيجةً لسياسة التعصب والاضطهاد التي مارسها ملوك أسبانيا ضد المسلمين بهدف إنهاء الوجود الإسلامي في الأندلس، و قد ترتب على هذه الهجرات آثارٌ عديدةٌ مست الكثير من جوانب الحياة نظراً للحياة المدنية المتطورة التي تميز بها أهل الأندلس، كما يتضح أن الهجرات الأندلسية التي وفدت إلى طرابلس وبرقة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين قد جاءت على شكل دفعات متتالية، وعلى الرغم من قلة عددها مقارنةً بباقي أقطار المغرب العربي إلا أن آثارها كانت كبيرة، ومن أهم هذه الآثار دور الأندلسيين في تعمير مدينة درنة في العصر الحديث بعد فترة طويلة من الركود، وتأثيرهم على مختلف مجالات الحياة في المدن الساحلية التي استقروا بها بفضل خبراتهم العلمية والمهنية.

لقد تمكن الأندلسيون من إيجاد مسحة حضارية تذكرهم بوطنهم المفقود أينما حلوا، وأثروا في مجتمعاتهم الجديدة من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفنية، وتمثل تأثيرهم الاجتماعي في قدرتهم على التكيف مع هذه المجتمعات فأصبحوا جزءاً أصيلاً من التركيبة الحضرية للمدن الليبية وخاصة في مدينتي درنة وطرابلس، وتمكنوا مع مرور الزمن أن يصبحوا من النخبة المتميزة فيها، وطبعوها بعاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم وأزيائهم ولهجتهم، فانتشرت في البلاد أنواع من الازياء الأندلسية مثل الشاشية والسترات الحريرية المطرزة ودخلت على اللهجة المحلية مفردات أندلسية كما نقل القادمون الجدد معهم عاداتهم في التزين وأساليبهم في الطبخ فظهر التأثير الأندلسي في أنواع الأطعمة وطرق إعدادها وخاصةً في استخدامهم للتوابل والنباتات العطرية .

واستطاعت الجاليات الأندلسية أن تسهم في تنشيط الحياة الاقتصادية في طرابلس وبرقة خاصةً في مجال الزراعة، فطوروا أساليب الري وشقوا السواقي والقنوات للاستفادة من مياه العيون، وأدخلوا زراعة أنواع جديدة من المحاصيل الزراعية مثل البرتقال (الشفشي) والخوخ والكمثرى والموز، وبعض أنواع الخضروات والزهور والنباتات العطرية، كما اسهموا في تطوير بعض أنواع الصناعات القائمة

مثل صناعة النسيج التي ازدهرت على يد الحرفيين الأندلسيين في معظم مدن البلاد مثل طرابلس ومصراته وبنغازي ودرنه ، وأدخلوا صناعة الشاشية إلى البلاد،

إلى جانب بعض أنواع الصناعات الجديدة مثل صناعة الخزف المطلي أو الزليج وصناعة التقطير التي تقوم على استخلاص الروائح والزيوت من الزهور المختلفة وقد اشتهرت بها مدينة درنة .

ومن الناحية الثقافية أسهم الأندلسيون في إثراء الحركة العلمية في البلاد، وبرز الكثير من أبناء الأسر الأندلسية في مجالات التعليم والقضاء والإفتاء والتأليف، وكتبوا العديد من المؤلفات في مجالات العلوم الشرعية، واللغة وآدابها، وأسهموا في تنشيط الحركة الصوفية، ومن الناحية الفنية كانت لهم إسهامات في مجالات البناء والعمارة خاصةً فن الزخرفة، وكان للعمال الأندلسيين دورٌ بارزٌ في تعمير المساجد والمباني في بعض المدن مثل طرابلس ودرنة، كما أثرت الهجرات الأندلسية على الحياة الفنية في البلاد خاصةً فنون الغناء والموسيقا من خلال نقل التراث الفني الأندلسي وفي مقدمته الموشحات الأندلسية التي عُرفت في ليبيا بالمالوف وقد ظهر هذا الفن بإيقاعاته في ألحان الابتهالات التي تقدمها الزوايا الصوفية كما كان يُغنى في مواكب الأعراس والجنائز، وكذلك فن الغيطة الذي انتشر في بعض المدن الليبية.

المصادر والمراجع

أولاً الكتب:

1. أوغسطيني، هنريكو دي.(د.ت)، سكان ليبيا، ترجمة خليفة التليسي، ج2، بيروت: الدار العربية للكتاب.
2. بازامة، محمد مصطفي.(1968) بنغازي عبر العصورمنذ نشأتها حتي الغزو الإيطالي، ج1، بنغازي: ليبيا للنشر.
3. باشو، جان ريمون.(1999) رواية رحلة إلى مرمرة وقورينة وواحتي أوجلة ومرادة، تعريب مفتاح عبدالله المسوري، بيروت: دارالجيل.
4. برنشفيك، روبار.(1988) تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م،،ترجمة حمادي الساحلي،ج2، بيروت:داالمغرب الإسلامي.
5. البلوشي، علي مسعود.(2009) تاريخ معمار المسجد في ليبيا في العهدين العثماني والقرمانلي 1551–1911، طرابلس: جمعية الدعوة الإسلامية.
6. بن عامر، محمود علي.(2000) تاريخ المغرب العربي الحديث، المغرب الأقصى وليبيا، دمشق: منشورات جامعة دمشق.
7. بن موسى، تيسير.(1988) المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني: الدار العربية للكتاب.
8. بن يونس، مختار الهادي.(2009) من تاريخ الثقافة في ليبيا،طرابلس: منشورات جمعية الدعوة الإسلامية.
9. بولبيض، عبد الفتاح.(2009) تاريخ برقة الإسلامي في الفترة من القرن الخامس عشرحتى الربع الأول من القرن العاشر الهجري من400–925هـ ، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.
10. التليسي،خليفة.(1999) طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، بيروت: الدار العربيه للكتاب.
11. جبران، مفيدة.(2010)أسواق مدينة طرابلس القديمة، طرابلس:منشورات مكتب المدن التاريخية، مصلحة الآثار .

12. جبريل، صلاح الدين محمد.(1995) تجريدة حبيب،ط2،بنغازي: منشورات دار إبل ودار الكتاب الليبي.

13. رايت،جون.(2012) انبثاق ليبيا، ترجمة الطيب الزبير،طرابلس: دار الفرجاني .

14. روسي، اتوري.(1999) ليبيا منذ الفتح العربي حتى عام1911م، ترجمة خليفة التليسي، ط2، بيروت: الدار العربية للكتاب.

15. روفيري،فرانشيسكو.(2003)عرض للوقائع البرقاوية التاريخ الكرنولوجي لبرقة1551–1911 ترجمة إبراهيم أحمد المهدوي، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

16. الزاوي، الطاهر أحمد. (1968) معجم البلدان الليبية،طرابلس:مكتبة النور.

17. شرف الدين، أنعام.(1998) مدخل إلى تاريخ طرابلس الاجتماعي والاقتصادي دراسة في لمؤسسات المدينة التجارية 1711–1835، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

18. شلابي، سالم.(د.ت) ألبسة على مشجب التراث: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان

19. الطرابلسي، مصطفي. (د.ت) درنة الزاهرة قديماً وحديثاً: منشورات جامعة درنة.

20. الطوخي، أحمد محمد.(1997) مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.

21. عنان، محمد عبد الله.(1997) دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ط4، القاهرة: مكتبة الخانجي.

22. العياشي، أبوسالم.(د.ت) ماء الموائد، تحقيق سعد زغلول وآخرون، د.ط، الإسكندرية: منشأة دار المعارف .

23. فيرو، شارل.(1998) الحوليات الليبية، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، ط2: منشورات جامعة قار يونس.

24. المصراتي، علي.(2002) مؤرخون من ليبيا مؤلفاتهم ومناهجهم، ط2،مصراتة: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.

25. المقري،أحمد بن محمد (1988) نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب،المجلدين الأول والرابع، تحقيق إحسان عباس، د.ط،بيروت: دار صادر.

26. مناع، محمد عبد الرازق.(1999)الأنساب العربية في ليبيا.

27. النائب،أحمد بن الحسين.(د.ت) نفحات النسرين والريحان فيمن كان في طرابلس من الأعيان، تعليق محمد زينهم، د. ط، طرابلس: دار الفرجاني للنشر والتوزيع .

28. نجم، فرج عبد العزيز.(2011) القبيلة والإسلام والدولة، بنغازي: مكتبة فبراير.

29. الهرامة، عبد الحميد عبدالله. (1999) فصول من تاريخ ليبيا الثقافي، بيروت: أصالة للنشر والتوزيع.

ثانياً البحوث والمقالات:

1. بولنز، لوسي.(1998) ((نباتات للصباغة والنسيج))، ترجمة مصطفي الرقي، الحضارة العربية في الأندلس، الجزءج2، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

2. حامد، سعيدعلي.(2008) ((تاريخ ومعالم الحضارة والعمران في ليبيا))، معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا، الفاهرة: الدار الدولية للاستثمارات الثقافية.

3. سانشيز، اكسبيرانثيون غارثيا.(1998) ((الزراعة في أسبانيا المسلمة))، ترجمة أكرم ذا النون، الحضارة العربية في الأندلس، ج2، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية .

4. العطار، سليمان العطار.(1997) ((دراسة في نشأة الموشحات الأندلسية))، مجلة المعهد العربي للدراسات الإسلامية ، مج29، مدريد: معهد الدراسات الإسلامية.

5. ميراندا، امبرويزو أويني.(1961) ((كتاب الطبخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين لمؤلف مجهول))، مجلة معهد الدراسات الإسلامية مج10،9، مدريد: معهد الدراسات الإسلامية.

6. وينز، دايفيد.(1998) ((فنون الطبخ في الأندلس))، ترجمة عبد الواحد لؤلؤ، الحضارة العربية في الأندلس، ج2 الثاني، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

ثالثاً المراجع الأجنبية:

1.Poole,S.L.(1889),The story of Moors in Spain, New-york: G.P,Putuam's sons
2.Zaimech,S.(2004),Granda –The last Rufuge of Muslim in Spain, Manchester: FSTC Lmited

رابعاً الموسوعات:

1. القطعاني، أحمد.(2011) موسوعة القطعاني الإسلام والمسلمون في ليبيا منذ الفتح الإسلامي21 هـ/644م _ 1421هـ /2000، جزء1، طرابلس: الواثقون للمقاولات.

خامساً مواقع على الأنترنت:

1. عريبي،حسن. (2007) المألوف والموشحات، منتدى سماع للطرب الأصيل، ويكيبيديا الموسوعة الحرة http;//www.sama3y.ne.

2.العريبي، علي.(2017/11/30)"الغيطة قيموها ياعقالها" إذاعة ليبيا المحلية، .

http//Locallibya.com/ar/article/cultare .